

اللعن الثامن بدء التريودي - الفريسي والعشار

وتناكر القديس الشهيد في الكهنة اكليمس أسقف انقرة والقديس أغنثيچيلس الشهيد



الفريسي والعشار



هكذا أرادته الرب. واستعان الرب بالعشار لكي يكون نموذجًا للخطاةين التائبين ، الذين يصلّون ويعترفون بقلب منسحق بالكلية ، وذلك لكي يعلم الجميع أن يكبروا الكبرياء ويجنبوا التواضع.

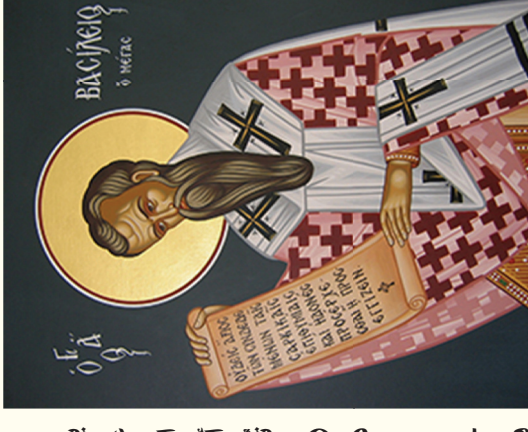
وبين المسيح جانيًا في هذا المثل أن البرّ (أو العدل) فضيلة كبيرة تقرب الإنسان من الله. ولكن عندما يرافقه الكبرياء يقود الإنسان إلى القعر: هذا ما حصل مع الفريسي ولذلك أدبنا وسقط في الهلاك. الظلم والخطيئة مبنوذان ومزدرى بهما ويُبعدان الإنسان عن الله أكثر من أيّ شر. أما التواضع فهو يبرز الإنسان بالتوبة والإعتراف ويجعله مستحقًا للخلاص ويقتربه من الله: هذا ما حصل عليه العشار. لذلك بُرّ وأصبح جديرًا بالخلاص.

مصيبة الحسد - القديس باسيليوس الكبير

ليس في قلب الإنسان شهوة أسوأ من الحسد، فهو شيء لا يؤدي المحسود وحده، بل يفرض قلب الحاسد نفسه قرصًا عميقًا، ويفعل فيه فعل الصدا بالحاديد. هو حزنٌ تحدثه سعادة القريب. ودواعيه عند الحسود كثيرة: إن أخصب حقل جاره... أو جملٌ منظرٌ داره... أو كان سعيدًا مع أهله. كلُّ هذه أمورٌ تُوغر صدره وتزيد ألمه. فهو كالمسلوخ حيًا يؤلمه كل شيء. إن رأى شخصًا قويًا معافيًا، اغتم؛ وإن قابل إنسانًا جميلًا، أو آخر ذكيًا، جرح؛ وإن علم أحدًا ناجحًا، أحسّ بما يدمي قلبه.

وأشق ما في هذه الداء أنه مرضٌ مخجل: ترى الحسود حافض البصر، كالحج الوجه، يشكو ويهزل، فتسأله عمدًا به، فيستحي أن يقول: "إني حسود، أشعر بمرارة في نفسي، أتعذب من سعادة صديقي ولا أطيق نجاح الآخرين، وأرى سعادة القريب سيفًا يمزق أحشائي". هذا ما كان يجب أن يوح به ولكنه يُفصل الصمت، ويحتفظ بدائه الذي يضنيه ويفنيه.

وما من طبيب ولا من دواء يشفي هذا المريض، لأن ما يروحوه من عزاء هو في خراب من يحسدكم. ولا حدٌ لبغضه إلا زوال نعمة قربه. وإذ ذاك يبهض ويظهر له المودة، حينما يراه باكيًا. لا يعرف الفرح مع الفرحين بل يعرف البكاء مع الباكين. يتأسف لوقوع النكبة، لا عطفًا على المنكوب، بل لكي يزيد إيلافها بذكر المفقودة.



الرسالة

صلُّوا ووافوا الربَّ الهنا الله معروفٌ في ارض يهوذا

فصل من رسالة القديس بولس الرسول الثانية الى تيموثاوس (١٠: ٣-١٥)

يا ولدي تيموثاوس انَّك قد استقرت تعليمي وسيرتي وقصدي وايماني وأنتي ومحبي وصبري * واضطهاداتي وآلامي وما اصابني في انطاكية وايقونة ولسترة. وايةً اضطهاداتٍ احتملتُ وقد انقذني الربُّ من جميعها * وجميع الذين يريدون ان يعيشوا بالقوى في المسيح يسوع يضطهدون * أما الأشرار والمغفون من الناس فيزدادون شرًّا مُضِلِّينَ ومُضِلِّينَ * فاستمرِّ انت على ما تعلمته وأيقنت به عالمًا ممن تعلمت * وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدَّسة القادرة ان تصيرك حكيماً للخلاص بالايمان بالمسيح يسوع .

الإنجيل

فصلٌ شريفٌ من بشارة القديس لوقا الانجيلي

البشير التلميذ الطاهر (١٨ : ١٠ - ١٤)

قال الربُّ هذا المثل. انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا احدهما فريسي والآخر عشار * فكان الفريسي واقفا يصلي في نفسه هكذا: اللهم اني اشكرك لاني لست كسائر الناس الخطئة الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشار * فاني اصوم في الاسبوع مرتين واعشر كلَّ ما هو لي * أما العشار فوقف عن بُعد ولم يُرد ان يرفع عينيه الى السماء بل كان يقرع صدره قائلاً اللهم ارحمني انا الخاطيء * اقول لكم ان هذا نزل الى بيته مبرراً دون ذاك. لان كلَّ من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع.

انتقني فضيلة التواضع ، ونزدي رذيلة الكبرياء

مثلُ الفريسي والعشار هو بمثابة تدريب سابق وتهيئة للذين يُريدون إقتناء التواضع المقدَّس الذي هو أساس كل الفضائل، هذه الفضائل التي بما يتوطد بناء بيت ملكوت السموات، وللذين يُريدون أن يهربوا من التكبُّر المقنوت من الله، هذا التكبُّر الذي يُبعد الإنسان عن كل الفضائل المسيحية. من الذي لا يحسد عودة العشار وتوبته ولا يُغضض أيضاً كبرياء الفريسي، خصوصاً وأنَّ **التواضع مُرتبط بالمسيح** بينما التكبُّر مرتبط بالشيطان المتباهي والكلِّي الكبرياء.

لقد جعل التكبُّر من لوسيفوروس المتقدِّم في الملائكة شيطاناً. التكبُّر هو الذي طردَ آدم جدَّنا الأوَّل من الفردوس، «خطُّ المقدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين»، «الربُّ يُقاوم المتكبرين، الربُّ يُعطي نعمته للمتواضعين»، هذا التكبُّر هو الذي أسقط فرعون، «قال الجاهل في قلبه ليس إله». هو الذي قضى على نبوخذنصر، «لربِّ إلهك تسجد وإياه» «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً» الواحد يصيبه المرض ثم يعبر عنه، والآخر يُصبح عنده الهوى عادةً ثانية. الحقيقة أن الكبرياء مرض يُصيب حواس

المرض وضربة مُخيفة تدفع الإنسان إلى الهلاك.

«من يصعد إلى جبل الربِّ؟ الطاهر اليمين والنتي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل» (مز ٢٣).

هكذا كانت جهالة صور وتكبرها، فهي طردت ندى النعمة فأصبحت أرضاً يابسة. وتعلمون هذا جيّداً ممَّا سمعتم من أقوال ومن خبرتكم الخاصَّة: المتكبُّر لا يشعر بحاجة إلى نعمة الله التي تكمل (كلَّ ضعف). لذلك هو قاسٍ وجاف. تنقصه الحرارة المحيية والرطوبة المُنعشة. فيه يصنع الشيطان عشه كما في شجرة يابسة.

بكلمة واحدة التواضع هو غذاء الجمال المسيحي. هو أساس التقوى ومبدأها وهدفها. هو نقض الأهواء وصيانة الندى في جذور الإيمان. التواضع يتلازم مع مخافة الله التي تطرد الإثم كما قال إرمياء وسليمان، لأن: «بدء الحكمة مخافة الربِّ». يجعل التواضع من العشار كاذباً بالروح بينما يجعل التكبُّر من الفريسي صنيحاً يرنُّ باطلاً. حقاً إنَّ المرائي هو مثل رثانة صلبوم، هو بطيخ جميل من الخارج إلَّا أنَّه عفنٌ ويغير طعم من الداخل.

كان القديس إسحق السرياني يقول: «إنِّي أخاف أن أتكلَّم عن التواضع كأني أتكلَّم عن الله نفسه».

ويشبهه القديس دوروثاوس الحجة بسقف البيت لأنَّها تاج الفضائل، أمَّا التواضع فيشبهه بالسور لأنَّه يصون كل فضيلة بمرافقته إياها.

صعد العشار إلى الهيكل، صعد بالجسد والنفس. كما صعد الفريسي أيضاً إلى الهيكل بالجسد والنفس. الأوَّل صعد ونفسه نازلة مع تواضعه، والآخر نزل لأنَّ نفسه كانت مُتعالية مع تكبره. الأوَّل كان يصعد على درجات داود ويتبع الطريق الذي يقود إلى الفردوس، والآخر كان يسير نازلاً في الطريق الذي يؤدي إلى لوسيفوروس رئيس الكبرياء. الأوَّل صعد على سلَّم الفضيلة، بينما سقط الآخر

من الفضيلة واقترب من الشرور.

كثيرون يدخلون الهيكل، ولكن قليلون هم الذين يشتركون فيه كورثهم مستحقين لبيت الله. المتكبُّر لا يبقى في جوِّ الحجة. وكل من لا يبقى في جوِّ الحجة لا يبقى في حضن الله كما يقول يوحنا الإنجيلي. أمَّا كل من يبقى في الحجة فيسكن في الله والله فيه، ويكون هيكلاً لله كما يقول بولس الرسول. الذين يدخلون في هيكل الله هم الذين يعمل الله فيهم.. وينير الله فقط الأطفال والصغار كما يقول داود. «حيث يكون المتواضع هناك توجَّد الحكمة» كما يقول سليمان؛ الحكمة من جهة الإيمان ومن جهة العمل.

كانت الحكمة ناقصة عند الفريسي. لذلك وهو مرائي يشكر الله ظاهرياً فقط. أمَّا في الداخل فهو ناكثٌ لنعمته. لا يحفظ الوصية: «أحب قريبك كنفسك» كلمته «أشكرك» تبدو حسنة كونه لم ينسب الفضيلة إلى نفسه، كما كان يعتقد نبوخذ نصر وسيماش ويطرس (عندما انكر المسيح). إنَّ لوسيفوروس وآدم وقعا في مثل هذا التكبُّر. كان الفريسي يفتخر بما ليس عنده فعلاً، لأنَّه وإن كان يملك شيئاً فهو خاسره بسبب كبريائه.

ينبغي للذي يملك شيئاً أن يعترف بأنَّ ليس لديه أيُّ شيء. وينبغي له أن يقول: «أنا عبدٌ بطل» لأنَّه «لن ينترز أملك أيَّ شيء».

من لا يتواضع بدوس الحجة، ومن لا يحبُّ يزدي. حقاً أن الكبرياء مصدر كلِّ خطيئة. يأتي بعده الحسد، وبعد الحسد القتل، بسبب الكبرياء، رأى أبشالوم الملك داود أباه عدواً وسعى إلى قتله. العدو الخفي أخطر من العدو الظاهر، ولا يختلف عن الشيطان الذي بشكل حجة ضحك من الجبول أولاً. لذلك فإنَّ الخاطيء المُعلن يُسرر، أمَّا الخاطيء المتخفي فيُدان. الأوَّل يُلام لفعله السيِّء، أمَّا الآخر فلا يزال يملك الكذب والباطل، ولذلك أبعد عن التبرير الإلهي.